شفاعة موسى

خروج ٣٢-٣٤

الأخت باسمة الخوري

دكتوره في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدّمة

تأخذ الفصول ٣٢-٣٤ مكانًا مركزيًّا في مسيرة الشعب اليهوديّ في الصحراء بحيث يمكن اعتبارها مفتاحًا لتفسير تاريخ إسرائيل بكامله. تضيء هذه الفصول على مصير الشعب المختار من خلال مفارقة كبرى. فمن جهة، يمكن عنونتها "خطيئة إسرائيل الأصليّة"، ويمكن، من جهة ثانية، أن نرى فيها كمال العهد بين الله والشعب وثباته على الدوام.

تتمحور هذه الفصول حول خطيئة شعب الله العظيمة في صنعهم عجل الذهب والسجود له (٣٢: ١-٦) واعتباره دليلهم وحاميهم في مسيرتهم، ما يثيرُ غضب الربّ عليهم، فيحثّ موسى، الموجود على جبل سيناء، ليعود إليهم فيكون في ما بينهم لتوبتهم (٣٢: ٧-٩)، لكنّنا بدلاً من ذلك، نرى هذا الأخير يتشفّع أمام الله لشعبه (٣٢: ١١-١٣) قبل أن يقف أمام هذا الأخير: هو التشفّع الأوّل الذي ينجح فيه موسى بجعل الربّ يعود عن قرار ربّما يكون سيّئًا (٣٢: ١٤).

بعد ذلك، يقف موسى أمام شعبه ليُظهر الخطيئة العظيمة التي ارتكبها هارون أخوه الكاهن إرضاءً للشعب العاقّ، فيكسر لوحي الوصايا اللذين استلمهما من الله، ويجري تطهيرًا من الرجاسة المرتكبة عقابًا على ما جرى (٣٢: ١٥-٢٩).

ثمّ يعود إلى الربّ ليتشفّع ثانية لشعبه الخاطيء (٣٢: ٣١-٣٣) معلنًا تضامنه معهم، فينجح مرّة ثانية في الحصول على ضمانة حضور الله، بواسطة ملاكه، إلى جانبهم ليستطيعوا إكمال المسيرة نحو تحقيق الوعود. لكنّ حضور الربّ يبقى مشروطًا بانتظار افتقاد الربّ لهم، ولذلك كان لا بدّ من ابتعاد خيمة اللقاء إلى خارج المحلّة (٣٣: ٣-١١).

في صلاته التشفعيّة الثالثة (٣٣: ١٢-١٧) يتوجّه موسى إلى الربّ بطلب مكرمة خاصّة ليعرفه معرفة عميقة تؤهّله، هو المرسَل للقيادة وإعلان كلام الربّ، لتتميم رسالته الصعبة. وهنا أيضًا ينجح موسى في الحصول على ضمانة حضور الله الدائم معه وطمأنته إلى المستقبل.

في صلاته التشفّعيّة الرابعة يطلب موسى تأكيد رضى الربّ عن شعبه، فيعرف هذا الشعب أنّه متميّز عن باقي الشعوب (٣٣: ١٥-١٧)، وينجح هنا أيضًا في الحصول على ضمانة الربّ، ما يجعله في صلاة للمرّة الخامسة، حيث يطلب أن يرى مجد الربّ فيستطيع، من خلال خبرته، أن يؤكّد للشعب دعوته المميّزة (٣٣:

١٨-٢٣). وكان له ذلك بالرغم من أنّ "لا أحد يرى الربّ ويعيش"[١]. نال موسى تجلّي الله له فأعلن له الربّ اسمه مؤكّدًا له تحقيق الوعود ومساندته في رسالته مع الشعب. سجد موسى، وكان التشفّع السادس والأخير (٣٤: ٩-١٠) الذي يشكّل قمّة الفصول ٣٢-٣٤.

I – عجل الذهب وخطيئة الشعب الأصليّة: من هو القائد؟

تُفتتح الفصول ٣٢-٣٤، في غياب موسى، بطلب الشعب من هارون: "إصنع لنا آلهة تسير أمامنا (אֱלֹהִים)، فهذا الرجل موسى الذي أخرجنا من مصر لا نعرف ماذا أصابه" (٣٢: ١)[٢]، وكأنّ مشكلة الشعب الأولى هي رفضهم لوساطة موسى وقيادته لهم وطلبهم من هارون قائدًا من صنعهم. فما هي أو بالأحرى من هي هذه الآلهة التي عليها أن تسير أمام الشعب، وأن تقود إسرائيل؟

١. صورة إلهيّة مشوّهة

أخذت صورة عجل الذهب معنى إلهيًّا، فهل أراد الشعب حقًّا آلهة غير يهوه الربّ؟

يقدّم النصّ الأحداث من وجهة نظر الربّ، بحسب أقوال هارون، فيستنتج منها العصيان لوصاياه: "حادوا سريعًا عن الطريق الذي أمرهم بسلوكه" (آ ٨). ولكن ما هي طبيعة هذا العصيان؟ صحيح أنّ الشعب يبدو وكأنّه لم يفهم ماضيه أو ربّما فهمه بطريقة مغلوطة[٣]، لكنّ النصّ يعلن أنّ الشعب بعد أن صنعوا العجل أقاموا عيدًا للربّ (آ ٥)[٤]. فماذا كانت نيّتهم؟

لا يبدو أنّهم أرادوا موطئ قدم لعرش الربّ على ما فعل رحبعام (١ مل ١٢: ٢٥-٣٣)، فهم لم يطلبوا عرشًا لله بل قائدًا. ولا يبدو أنّ الشعب أرادوا بديلاً عن موسى عندما شعروا بأنّه قد تركهم (٣٢: ١)؛ فالنصّ يشير صراحة إلى أنّ الشعب أراد "آلهة"، وقد أعلن هارون بعد ظهور العجل: "هذه آلهتكم، يا بني إسرائيل، آلهتكم التي أخرجتكم من أرض مصر" (آ ٤)؛ وكأنّ العجل في منطق هارون يجعل الله منظورًا: "بنى مذبحًا أمام الصنم ونادى: غدًا عيد للربّ" (آ ٥).

---

١ بعد هذا الحوار الأخير مع الله يعود النصّ إلى المشاكل الأساسيّة: خطيئة الشعب العظيمة ومصير العهد بينه وبين الله.

٢ في الحدث تقارب مع ما قام به رحبعام الذي صنع عجلين من الذهب قائلاً لشعبه: "لا حاجة لكم بعد الآن بالصعود إلى أورشليم. هذه آلهتكم التي أخرجتكم من مصر" (١ مل ١٢: ٢٨). لكن في حين تصرّف رحبعام من تلقاء ذاته، انصاع هارون لضغوط الشعب.

٣ لنا في تث ٣٢: ١٢ آثار لجدل حول مسألة تحرير الله لشعبه بمفرده أو بمعونة آخر "اقتادهم الربّ بمفرده من دون إله غريب".

٤ يمكن أن نعتبر أنّ هارون، بإدخاله صورة لله في الاحتفالات الدينيّة، قبل بتغيير الطقوس القائمة على تحريم الصور في محاولة منه لتغيير نوايا الشعب؟ لكن هارون في تبريره لما حدث يبدو كمن خضع للشعب خوفًا من رفضهم له كما رفضوا موسى (٣٢: ٢٢-٢٤)، دون أن تتبلور عنده صورة واضحة للنتائج: "طرحته في النار فخرج هذا العجل" (آ ٢٤). الواضح بالأحرى أنّ هارون ترك الأمور تسير ففقد سيطرته عليها كما فقد السيطرة على الشعب: "رأى موسى أنّ الشعب خرجوا على هارون" (آ ٢٥).

تبدو نيّة الشعب إذًا واضحة تمامًا في النصّ: "آلهة تسير أمامنا"، فتتأمّن بالتالي قيادة الشعب الضروريّة في ظروف الصحراء القاسية. أعطى الشعب للعجل المسبوك (עֵגֶל מַסֵּכָה) صفة إلهيّة (خر ٣٢: ٤، ٨)، "آلهة من ذهب" (خر : ٣٢: ١٣)، تؤدّي إلى عبادة الصنم. صحيح أنّ ذلك لا يظهر في بداية النصّ، لكنّه واضح في تفسير الربّ للحدث: "سجدوا له وقدّموا الذبائح" (آ ٨)، وكانت النتيجة جحود الشعب لإيمانه واختياره آلهة غير الربّ ما إن شعر بخطر غياب موسى عنهم.

٢. طقوس دينيّة منحرفة

أدّى صنع عجل الذهب إلى طقوس دينيّة منحرفة يلعب فيها الصنم دور الإله آخذًا مكان الربّ.

ربّما أراد الشعب بداية أن يكون له قائد مكان موسى الإنسان غير الحاضر دومًا. لكنّ موسى لم يكن الوسيط الوحيد ليدلّ الشعب على طريق الربّ؛ فحتّى الوصول إلى سيناء كان الإيمان راسخًا بأنّ الله بالذات هو من يُدخِل شعبه الأرض الموعودة بحسب الوعود للآباء[٥]: "أرسل أمامكم ملاكًا يحفظكم في الطريق ويجيء بكم إلى المكان الذي أعددته" (خر ٢٣: ٢٠-٣٣). هذا الملاك هو في الوقت عينه قائد الشعب وممثّل الربّ بينهم؛ فهل أراد الشعب من العجل الذهبيّ أن يأخذ مكان الملاك فيطمئنّوا إلى حضور إلهيّ ملموس مكان الحضور البشريّ الضعيف؟[٦] أم أنّهم رأوا فيه هذا الملاك الموعود ولذلك لم يجدوا تناقضًا بين صنعه وإقامة العيد للربّ؟ وإن كان الحال كذلك، فماذا كانت إذًا طبيعة خطيئة الشعب؟

طلب الشعب من هارون "آلهة تسير أمامنا"، ما يعني أنّهم أرادوا أن يكون الإله أمامهم دومًا بحسب إرادتهم بدلاً من اتّباعهم للربّ؛ وبدلاً من الاستماع إلى وعده لهم بإرسال ملاكه يدلّهم ويحفظهم (خر ٢٣: ٢٠-٢٣)، أرادوا صورة واضحة تؤكّد الحماية الإلهيّة. أراد الشعب اتّباع منطقه وفكره بدلاً من انتظار وصول الرسول الحقّ.

تحوّل العجل الذهبيّ إلى موضوع عبادة تنتهك أولى الوصايا (خر ٢٠: ٣-٥) التي أسّست تاريخ الشعب، فقطع هذا الشعب بالتالي علاقته بأصله ممّا جعله في الوقت عينه يضيّع مستقبله المستند إلى وعد الربّ له بملاك يحفظه. شوّه الشعب أصله، "هذه آلهتك التي أخرجتك من مصر" (خر ٣٢: ٤)، ورفضوا الوعد الإلهيّ عندما اختاروا الاتّكال على الذات: "إصنع لنا آلهة تسير أمامنا" (خر ٣٢: ١).

كان على الشعب أن يحترم إرادة الله الذي احترم البشر، فأراد أن يعمل من خلال الإنسان، القادر أن يسمع الشعب ويراه، فيكون له ممثّلاً تجاه الله؛ لكن الشعب حاول أن يتخطّى موسى، الرجل الذي أرسله الله

---

٥ رج. خر ٣: ١٧؛ ٦: ٨؛ ١٣: ٥، ١١؛ ١٥: ١٣، ١٧.

٦ في خر ٢٣: ٢١ وفي الكلام عن الملاك إشارة يحذّر فيها الله من خطيئة عجل الذهب: "إنتبهوا له واستمعوا إلى صوته ولا تتمرّدوا عليه لأنّه لا يصفح عن ذنوبكم لأنّه يعمل باسمي".

للشعب ليكون وسيطًا، لأنّه أراد وسيطًا أقوى من الإنسان، فاستبدل الوساطة البشريّة، المحدودة بطبيعتها، بصنم يمثّل القدرة الإلهيّة ويبقى في متناول اليد.

لكنّ موسى، وبالرغم من الرفض، أكمل دوره فكان الشفيع على مدى الفصول ٣٢-٣٤، فنراه يحضر ستّ مرّات وحيدًا أمام الربّ، مصلّيًا متشفّعًا على الجبل في ٣٢: ١١-١٣، ثمّ في ٣٢: ١٣-٣٢، وتأتي الثالثة والرابعة والخامسة في خيمة الاجتماع ٣٣: ١٢-١٣، ليعود إلى الجبل لصلاة أخيرة في ٣: ٩.

١. شفاعة موسى الأولى (خر ٣٢: ١١-١٣)

غضب الله ورحمته

الصلاة التشفعيّة الأولى (٣٢: ١١-١٣) هي الأطول. في قراءة أولى لنصّ هذه الصلاة، نفهم أنّ موسى يرجو الله أن يعود عن غضبه الشديد فلا يبيد شعبه. يعود إلى الماضي ليذكّر الربّ بوعوده للآباء وبأعماله الخلاصيّة، قبل أن يرسم مستقبلاً لا يسخر فيه المصريّون من الربّ بسبب أعماله القاتلة، فيبدو للقرّاء وكأنّ الربّ استجاب لوقته صلاة الشفيع. فهل هذا ما يقوله النصّ؟

أ. غضب الربّ ورحمته (آ ١-١٠)

يجدر بنا الانتباه إلى بعض ميزات النصّ (٣٢: ٧-١٤)؛ فالربّ أوّلاً لا يعطي أيّ جواب لصلاة موسى، لكنّ الكاتب هو من يستنتج (آ ١٤). ثمّ إنّ موسى لا يطلب المغفرة لشعبه، فقد كان الشعب لا يزال، حتّى ذلك الوقت يعبد عجل الذهب، ولا بدّ للإسرائيليّين من العودة عن خطيئتهم ليطلب موسى لهم الغفران وهو مغزى ما طلبه الله من موسى: "إنزل" (٣٢: ٧) وتدخّل ضدّ الصنميّة. لذلك، وأمام غياب طلب الغفران وغياب أيّ جواب إلهيّ، بقيت شفاعة موسى الأولى غير مكتملة، لكنّ ميزة هذه الشفاعة تكمن في تجرّؤ موسى على التشفّع من أجل الخطأة وذلك قبل مواجهتهم. يمكن لهذه الملاحظات أن تساعدنا على فهم تكرار موسى لصلاته التشفعيّة في ٣٢: ٣٠-٣٤ وكأنّنا أمام تشفّع مزدوج.

في الحقيقة لم تسفر الصلاة الأولى عن نتيجة واضحة، فهي لا تتضمّن غفرانًا ولا عقابًا بل مجرّد استنتاج: "فعادَ الربّ عَنِ السُّوءِ الذي قالَ إنَّه سَيُنزِلُهُ بشعبِهِ" (آ ١٤). فما معنى هذه الآية إذًا؟

يجدر بنا أوّلاً التمييز بين المشاكل التي تظهر في الحوار الأوّل بين الربّ وموسى (٣٢: ٧-١٤):

[٧]فقالَ الرّبُّ لموسى: قُمِ انْزِلْ، فسَدَ شعبُكَ الذينَ أخرَجتُهُم مِنْ أرضِ مصرَ. [٨]حادوا سريعًا عَنِ الطَّريقِ الذي أمَرتُهُم بسلوكِهِ، فصنَعوا لهُم عجلاً مسبوكًا وسجدوا لَه وقدَّموا الذَّبائِحَ وقالوا: هذِهِ آلهتُكُم يا بني إسرائيل، آلهتُكُمُ التي أخرَجتْكُم منْ أرضِ مصرَ. [٩]وقالَ الرّبُّ لموسى: رأيتُ هؤلاءِ

الشَّعبَ، فإذا هُم شعبٌ قساةُ الرِّقابِ. ١٠والآنَ دَعْ غضبي يشتَدُّ عليهِم فأُفنيَهُم وأجعلَكَ أنتَ أُمَّةً عظيمَةً.

١١فتَضَرَّعَ موسى إلى الرَّبِّ إلهِهِ وقالَ: يا ربُّ، لماذا يشتَدُّ غضَبُكَ على شعبِكَ الذينَ أخرَجتَهُم مِنْ أرضِ مصرَ بقوَّةٍ عظيمةٍ ويدٍ قديرةٍ؟ ١٢أفَلا يقولُ المصريُّونَ إنَّ إلهَهُم أخرَجَهُم مِنْ هنا بسوءِ نيَّةٍ، لِيَقتُلَهُم في الجبالِ ويُفنيَهُم عَنْ وجهِ الأرضِ؟ إرجعْ عَنْ شِدَّةِ غضَبكَ وَعُدْ عنِ الإساءةِ إلى شعبِكَ. ١٣واذكُر إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ عبيدَكَ الذينَ أقسمْتَ لهُم بذاتِكَ وقُلتَ لهُم إنِّي أُكثِرُ نسلَكُم كنجومِ السَّماءِ، وأُعطيكُم جميعَ هذهِ الأرضِ التي وعَدتُكم بها، فتَرِثونَها إلى الأبدِ. ١٤فعادَ الرَّبُّ عنِ السُّوءِ الذي قالَ إنَّه سَيُنزِلُهُ بشعبِهِ.

وتلك التي يتناولها الحوار الثاني بينهما (٣٢: ٣١ – ٣٣: ٥)

٣١ورَجعَ موسى إلى الرّبِّ وقالَ: يا ربُّ، خطِئَ هؤلاءِ الشَّعبُ خطيئةً عظيمةً وصنَعوا لهُم آلهةً مِنْ ذهَبٍ. ٣٢فإمَّا تغفِرُ خطيئتَهُم أو تَمحوني مِنْ كتابِكَ الذي كَتَبتَهُ. ٣٣فقالَ الرَّبُّ لموسى: لا أمحو مِنْ كِتابي إلاَّ الذي خطِئَ إليَّ. ٣٤والآنَ تذهَبُ وتقودُ الشَّعبَ إلى حيثُ قُلتُ لكَ، وها هوَ ملاكي يسيرُ أمامَكَ. ولكِنْ يجيءُ يومٌ أُعاقِبُهُم فيهِ على خطيئَتِهِم. ٣٥وبَطَشَ الرّبُّ بالشَّعبِ لأنَّهُم عبَدوا العِجلَ الذي صنعهُ هرونُ.

٣٣ وقالَ الرّبُّ لِموسى: قُمْ مِنْ هُنا واصْعَدْ، أنتَ والشَّعبُ الذينَ أخرَجتُهُم مِنْ أرضِ مصرَ، إلى الأرضِ التي أقسَمْتُ أن أُعطيَها لنسلِ إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ. ٢وأنا أُرسِلُ أمامَكَ ملاكًا وأطرُدُ الكنعانيِّينَ والأموريِّينَ والحِثِّيِّينَ والفِرزِّيِّينَ والحوِّيِّينَ واليَبوسيِّينَ

٣مِنْ تِلكَ الأرضِ التي تَفيضُ لَبنًا وعسَلاً. وأمَّا أنا فلا أصعَدُ إليها معَكُم لِئلاَ أُفنيَكُم في الطَّريقِ، لأنَّكُم شعبٌ قساةُ الرِّقابِ. ٤فلمَّا سَمِعَ الشَّعبُ هذا الخبرَ السَّيِّئَ حَزِنوا ولم يلبَسْ أحدٌ مِنهُم زينَتَهُ. ٥لأنَّ الرّبَ قالَ لموسى: قُلْ لِبَني إسرائيل: أنتُم شعبٌ قُساةُ الرِّقابِ، فإذا صَعِدْتُ معَكُم، ولو لحظةً واحدةً، أُفنيكُم؟ والآنَ، فَانزَعُوا عَنكُم زينَتَكُم وسأرى ما أفعلُ بِكُم.

وكأنّ النصّ الأوّل يمهّد للمواضيع التي ستعود لتظهر في الفصلين ٣٣-٣٤، والمتمحورة حول "الشعب قساة الرقاب" (٣٢: ٩)، و"غضب الربّ" (٣٢: ١٠، ١١، ١٢)، أو "الربّ بطيء عن الغضب" (٣: ٦). غضب الربّ مبرَّر يهدّد الخطأة، لكنّ الشعب الخاطيء اختبر أنّ الربّ يختار دومًا حلاًّ غير انفجار غضبه. وكأنّ نصّ ٣٢: ٧-١٤ يتمحور حول هذه المفارقة القائمة على خيار الربّ بين طريقتين لتدخّله مع الشعب؛ فليس الشعب من يتوب ويغيّر تصرّفه بل هو الربّ الذي بطريقة ما "يتوب" عن السوء! فكيف نفهم إذًا طلب موسى المباشر، "عُدْ عن الإساءة إلى شعبك" (٣٢: ١٤)، وتجاوب الربّ المباشر: "فعاد الربّ عن السوء الذي قال أنّه سينزله بشعبه" (٣٢: ١١)؟

حثّ موسى الربّ على التوبة عن غضبه، فنجح في ذلك، وهو ما فهمه صاحب المزامير: "هَمَّ الربّ أن يدمّرهم لو لم يقف موسى مختاره في سفح الجبل أمامه ليردّ غضبه عن إهلاكهم" (مز ١٠٦: ٢٣)، ممّا يعني أنّ شفاعة الإنسان هي ما تسمح بتغيير فعل الله تجاه الخاطئين وليس توبة هؤلاء الخطأة؛ فالربّ بقدرته الإلهيّة هو من يأخذ قرار العودة عن تدمير الشعب ليفتح لهم طريق التوبة[٧]. إنّ الغضب الإلهيّ، مع كونه مبرَّرًا، يمكن أن لا ينفجر بفضل تشفّع إنسان؛ فالربّ "البطيء عن الغضب" يريد أن يتقبّل شفاعة بشريّة ليظهر هويّته.

في كلّ الأحوال تبدو شفاعة موسى جريئة، وكأنّ الإنسان استطاع الحصول على تنازل الربّ، الذي بدا أوّلاً رافضًا لكلّ تشفّع. لكنّ غضب الله ليس على مثال الغضب البشريّ.

ب. شفاعة موسى (آ ١١–١٤)

لا يمكننا أن ننسى أنّ موسى لم يكن ليتجرّأ على مناداة الله لو لم يكن الربّ هو من دعاه ليكون وسيطًا وشفيعًا. وفي ٣٣: ١٠ الله هو من يطلب من موسى أن "يدع" غضبه "يشتدّ عليهم فيفنيهم"، تاركًا له بالتالي إمكانيّة التشفّع. عبر مسيرته الشخصيّة مع الربّ، تحوّل موسى من مجرّد خادم مطيع لله، إلى صديقه الحميم القادر أن يتكلّم معه بصراحة وجرأة.

في معرض الأسباب الموجبة التي يستند إليها في شفاعته، يتناول موسى عطيّة الوعد لإبراهيم مع عطيّة العهد[٨]، ممّا يذكّر بتشفّع إبراهيم من أجل سدوم وعمورة (تك ١٨: ٢٢–٣٣)، وقد حثّه على ذلك الربّ بالذات (تك ١٨: ١٧–١٨). بشفاعته فهم إبراهيم طريقة تصرّف الله تجاه من يرتكبون "خطيئة عظيمة جدًّا" (تك ١٨: ٢٠). وعَدَه باقتناء أولاده الأرض، وحمّله مسؤوليّة تعليمهم "أن يسلكوا في طرقه ويعملوا بالعدل والإنصاف" (تك ١٨: ١٩).

على هذه المثال يمكن أن نفهم تشفّع موسى. أعلن له الربّ نواياه ليحثّه على التشفّع إليه طلبًا للمغفرة، وكما فعل مع إبراهيم، علّم الربّ موسى كيف يكون شفيعًا للبشر. أراد الله أن يكون للعهد المبرم مع الشعب وسيطًا يعيّنه هو بذاته، شفيعًا قادرًا أن يواجه الله، حتّى عندما يكون الله غاضبًا، وأن يواجه البشر حتّى عندما يرفضونه. بذلك فقط يستطيع الوسيط أن يعلّم الشعب حقيقة الله "البطيء عن الغضب، كثير المراحم والوفاء" (٣: ٦)، وأن يُفهمه كيف "يحفظ الطريق الذي أمرهم بسلوكه" (٣٢: ٨).

فما هو موقف الربّ تجاه شعبه الخائن؟

لا يستنتج الربّ في ٣٢: ٧–٩ سوى أعمال الشعب الفاسدة وحالته كشعب "قساة الرقاب" (٣٢: ٩)، ويعلن في آ ١٠ قراره بإفنائه واستبداله بشعب أمين. لكنّ قراره هذا يأتي كتهديد للشعب من جهة، وكاقتراح يقدّمه لموسى، وليس كحكم مبرم، من جهة أخرى. صحيح أنّه في حديثه مع موسى يدعو الشعب "شعبك"

---

٧ رج إر ١٨: ٨؛ ٢٦: ٣، ١٣، ١٩؛ يون ٣: ١٠.

٨ خر ٣٢: ١٣؛ رج تك ١٥: ٥–٢٠؛ ١٧: ٤–٨؛ ٢٢: ١٥–١٨.

وليس "شعبي"، ولكن من المهمّ الانتباه إلى أنّ الربّ يؤكّد لموسى أنّ هذا الشعب لا يزال "شعبه" بالرغم من خطيئته، وعليه أن يتذكّر بأنّه لا يزال مرتبطًا بهم، يمثّلهم أمام الربّ، ويشكّل بالتالي فرصتهم الأخيرة. بكلامه هذا يذكّر الربّ موسى بدوره كوسيط بينه وبين شعبه ويحثّه على التشفّع، كما فعل إبراهيم (تك ١٨: ١٦-٣٣).

حاد الشعب عن طريق الربّ فحكم على نفسه بأن يهلك وحده في الصحراء (خر ٣٢: ٧-٨) لأنّ مستقبل الشعب يتعلّق كليًّا بطاعته لكلام الربّ[٩]، ومع ذلك فالربّ لا يريد أن يتركه، وما تهديده باضطرام غضبه عليهم سوى علامة أنّ مصيرهم يهمّه، والحال أنّ هذا الغضب لم ولن يشتدّ عليهم، فهو لم يترك شعبه لحظة.

ج. غضب موسى التربويّ (آ ١٢-٢٤)

ربّما نقول بأنّ الله كسر عهده مع الشعب عندما كسر موسى اللوحين (٣٢: ١٩)، لكن ليس في كلام الربّ ما يدلّ على أنّه طلب من موسى ذلك؛ فدور موسى في ٣٢-٣٤ هو دور الشفيع المدافع عن الشعب، وليس دور القاضي الذي يحكم بالنيابة عن الله. كسر موسى لوحَي الوصايا فانفتحت أعين الشعب الخائن على الخطيئة العظيمة التي اقترفوها ففهموا، الحدث على أنّه كسر للعهد بين الله وبينهم.

لكنّ الحقيقة هي أنّ الشعب خرق وصايا الله، فجاء كسر ألواح الوصايا علامة على ذلك، وليس حكمًا بكسر العهد. في تعبيره عن شدّة غضبه (٣٢: ١٩) لا يلعب موسى دور القاضي بل يُظهر شدّة تأثّره الذي يتناقض مع لهو الخطأة. إنّه غضب البارّ الذي يأتي كصفعة للشعب المتفلّت. يندرج كسر موسى لألواح كلمات الله في إطار دوره كمربٍّ للشعب، الذي يجب أن يتحمّل كلّ نتائج خطيئته: بصنعه لصنم جعل منه رسولاً إلهيًّا، كفّ الشعب عن سماع الكلام الذي أرسله الله. على هذا المستوى يقف موسى بصفته الناطق باسم الله، فالوصايا لا تخصّه وهو بالتالي لا يستطيع الاحتفاظ بها إن لم يقبلها الشعب، فلم يكن عنده أيّ خيار آخر سوى كسرها، وإن أراد الله فهو قادر على إرسالها لهم من جديد، ؛ إن هم وقفوا في وجه الخطيئة وهدموا الصنم.

أمّا أن يبادر موسى إلى سقي شعبه من الماء الممزوج بذرّات عجل الذهب المطحون (٣٢: ٢٠) فذلك لا يدخل في إطار عقاب الخطأة عبر إرغامهم على شرب مياه مسمّمة[١٠]، ولا في إطار الحكم على الشعب كما على المرأة الزانيّة (رج عد ٥: ١١-٣١)، لأنّ المسألة هنا لا تتعلّق بتحديد المذنبين بل بأن يساهم كلّ من شارك في صنع الصنم بالقضاء على الخطيئة بحيث لا يعود من مجال لإعادة الصنم إلى الوجود. لا يمكن للقائد أن يتصرّف بعدم مسؤوليّة أمام الخطيئة.

---

٩ خر ١٩: ٥؛ ٢٣: ٢١-٢٢؛ ٢: ٣-٤، ٧.

١٠ رج إر ٨: ١٤؛ ٩: ١٤؛ ٢٣: ١٥.

د. مع الربّ أو ضدّه (٣٢: ٢٥-٢٩)

تبقى المشكلة في تفسير حادثة اللاويّين (٣٢: ٢٥-٢٩). اعتاد الشرّاح إعطاءها معنى تنفيذ الحكم بالمذنبين في قضيّة صنع عجل الذهب، ممّا يفترض وجود مجموعة من الإسرائيليّين الأمناء للربّ وسط الشعب الذي كان يقدّم الذبائح لعجل الذهب. فإن كان الأمر كذلك فلماذا لم يقف هؤلاء للاعتراض على هذه الخطيئة العظيمة مع كونهم كهنة (٣٢: ٢٩)؟ ولماذا لم يظهروا كفريق مميّز عن الآخرين إلاّ بعد دعوة موسى لهم[١١]؟ ثمّ إنّ النصّ يُظهر أنّ الشعب كلّه خطىء (خر ٣٢: ٣، ١٠) وإلاّ لما حكم الله على الشعب كلّه، ولكان موسى قد استطاع الاستناد إلى وجود بعض الأبرار لطلب المغفرة كما فعل إبراهيم[١٢]. لكنّ الخطيئة عظيمة جدًّا لأنّها خطيئة عامّة اشترك فيها الجميع. وكيف نفهم ثانيًا قول موسى للاويّين بعد ما فعلوه: "خطيئتكم خطيئة عظيمة" إن كانوا قد قتلوا المذنبين ولم يقوا سوى على الأبرار (٣٢: ٣٠)؟ لربّما كانت الآيات ٣٢: ٢٥-٢٩ تهدف لا إلى التمييز بين الخطأة والأبرار بل إلى إعلان اللاويّين قرارهم بالتكرّس لخدمة الربّ بعد خطيئهم العظمى، فتكون هذه الآيات بالتالي إعلانهم لتوبتهم إلى الربّ بحيث يكونون أهلاً لممارسة واجباتهم الكهنوتيّة، ومنهم هارون.

من وجهة النظر هذه يحصل اللاويّون على الصبغة الكهنوتيّة بتوبتهم واستجابتهم لدعوة موسى، رسول الربّ، وليس لأنّهم أبرار، لأنّ الكهنوت ليس معطيًّا لأناس دون شائبة بل لمن يتوب. وليس العقاب بالتالي حكمًا بالإعدام على المذنبين في خطيئة عجل الذهب، ولا تكفيرًا عن هذه الخطيئة، بل هو إبادةٌ طالت كلّ من رفض خدمة الربّ استجابة لدعوة موسى (٣٢: ٢٥-٢٦). كانت هذه الدعوة فرصتهم الأخيرة، وفي رفضها لموسى الرسول المعتمد من قِبَل الله وبالتالي رفض لله بالذات. إنّه قرار أساسيّ لحياة الشعب لأنّه يعني الاختيار بين طريقين: "مع" الله أو "ضده"؛ فالشعب الذي "خرج" (פָּרֻעַ) هو شعب عارٍ من نعمة الله، لا يمكنه أن يتعلّم طريق الله نحو الأرض الموعودة، ولا أن يدافع عن نفسه تجاه الأعداء. ليس الحثّ إذًا انتقامًا إلهيًّا بواسطة اللاويّين، بل كان حربًا أهليّة بين الإخوة في شعب منقسم، هدفت إلى تنقية طقوس الاحتفالات الدينيّة، بعدها فقط استطاع الشعب سماع كلام الربّ وعبادته عبادة صحيحة بواسطة اللاويّين.

خر ٣٢: ٧-١٤ هو استنتاج الشعب لخطيئتة الرهيبة التي تعني في جوهرها رفضهم للعهد مع الربّ. في مقابل ذلك لا نجد حكمًا إلهيًّا ينقض هذا العهد، لأنّ تعامل الربّ لا يتوافق مع انتظارات الشعب من ردّة فعله على خطيئتهم العظيمة. إنّ الربّ يتصرّف بحسب طبيعتة التي أعلنها للآباء بالكلام والأعمال الخلاصيّة. على هذا يمكن لموسى أن يستند (٣٢: ١١، ١٣) ليطمئنّ إلى امتناع الربّ عن إبادة الشعب (٣٢: ١٤) وإلى أنّ العلاقة معه باقية لا تُمسّ.

---

١١ لربّما كان نصّ ٣٢: ٢٥-٢٩ إضافةً أراد منها الكاتب الإضاءة على حقوق اللاويّين الكهنوتيّة.

١٢ صوّرت الفصول ٣٢-٣٣ حادثة العجل الذهبيّ على أنّها الخطيئة الأعظم في تاريخ إسرائيل.

II – شفاعة موسى الثانية (خر ٣٢: ٣١-٣٣)

لا شكّ في أنّ الشعب ارتكب خطيئة كبرى تستوجب العقاب العظيم، لكن بين الربّ والشعب الخاطيء يقف موسى شفيعًا كبيرًا يطلب لهم المغفرة. أظهر الربّ أنّه لن يبيد الشعب (آ ١٤) ممّا يعني أنّه يريد أن يغفر. لكن على الشعب بالمقابل أن يتوقّف عن الخطيئة وأن يظهر التوبة. في هذا الإطار تدخل دعوة موسى للاويّين بأخذ قرارهم الواضح. يبدو موسى متعاطفًا مع الخطأة، لا يريد أن يحيا دون أن يحصل لهم على الغفران: "إمّا تغفر خطيئتهم أو تمحوني من كتابك" (خر ٣٢: ٣٢؛ رج ١ مل ٢٤: ١٥-١٦). أمام هذا الإله الذي لا يريد موت الخطأة ، يمكن للشفيع أن يعرّض نفسه للعقاب وهو مطمئنّ تمامًا إلى رحمته تعالى (رج ١ مل ٢٤: ١٤).

في تشفّعه الثاني (٣٢: ٣٠-٣٢) يحاول موسى أن يكفّر عن خطيئة عجل الذهب بعد أن حصل على عدم إبادة الشعب، فيبدي استعداده للموت مع شعبه.

٣١ورَجعَ موسى إلى الرّبِّ وقالَ: يا ربُّ، خطِئَ هؤلاءِ الشَّعبُ خطيئةً عظيمةً وصنَعوا لَهُم آلهةً مِنْ ذهَب. ٣٢فإمَّا تغفِرُ خطيئَتَهُم أو تَمحوني مِنْ كتابكَ الذي كتَبتَهُ.

٣٣فقالَ الرّبُّ لِموسى: لا أمحو مِنْ كتابي إلاَ الذي خطِئَ إليّ. ٣٤والآنَ تذهَبُ وتقودُ الشَّعبَ إلى حَيثُ قُلتُ لكَ، وها هوَ ملاكي يسيرُ أمامَكَ. ولكِنْ يجيءُ يومٌ أُعاقِبُهُم فيهِ على خطيئتِهِم. ٣٥وبَطَشَ الرّبُّ بالشَّعبِ لأنَّهُم عبَدوا العجلَ الذي صنعهُ هرونُ.

في جوابه يعلن الله عدالته: "لا أمحو من كتابي إلاّ من خطىء إليّ" (آ ٣٣)، فلا يقبل موت موسى أوّلاً لأنّه لا يرضى بأن يموت البارّ مع الخطأة (تك ١٨: ٢٣)، وثانيًا لأنّه لا يترك شعبه بعيدًا عنه، فلا يمكن الاستغناء عن دور موسى وسيطه (٣٢: ٣١-٣٤).

بسبب موسى قَبِل الله شعبه على حالته الخاطئة، فأعاد تأكيد وعوده لهم بالرغم من عصيانهم. غفر للشعب لكنّه فرض عليهم شروطًا تساعدهم على اختبار التحرّر الكامل عبر تعلّم الطاعة لإرادته القدّوسة في مسيرتهم نحو الأرض الموعودة، بانتظار يوم "افتقاد الربّ": "الآن تذهب وتقود الشعب إلى حيث قلتُ لك، وها هو ملاكي يسير أمامك، ولكن يجيء يوم أفتقد فيه خطيئتهم" (٣٢: ٣٤). "يوم الافتقاد" الذي يعلنه الربّ هو دون أيّ شكّ يوم الدينونة (رج عا ٣: ١٤)، ولكن ما هي طبيعة هذه الدينونة؟

يدلّ فعل "افتقد" (פָּקַד) على أكثر من معنى بحسب إطار استعماله؛ فيمكن أن يعني "عاقب" أو "فحص"، لكنّه يعني أيضًا "زار" بهدف العناية بمن هم في المعاناة[١٣]؛ كما يمكن أن يعني الحكم بالبراءة (مز ١٧: ٣). إذًا

١٣ تك ٥٠: ٢٤-٢٥؛ خر ٣: ١٦؛ ٤: ٣١؛ ١٣: ١٩.

أن يكون الكاتب قد ترك المقصود في خر ٣٢: ٣٤ مبهمًا، فاسحًا في المجال أمام أكثر من تفسير؛ فالربّ سيأتي وسيفحص الشعب، فتكون النتيجة بحسب تصرّفاتهم، فإمّا أن يُعاقَبوا، لأنّ الله لا يترك شيئًا دون عقاب (خر ٣٤: ٧) ، وإمّا أن يُبرَّروا فتكون لهم الحرّيّة كما من عبوديّة مصر.

على إعلان الله النبويّ هذا يتوقّف مستقبل الشعب؛ ولتأكيد فعاليّته، أضاف الكاتب تعليقه في خر ٣٢: ٣٥: "وبطش الربّ بالشعب لأنّهم عبدوا العجل الذي صنعه هارون".

لكنّ الله لم يكتفِ بإعلان الحكم المستقبليّ، بل أكّد مساعدة ملاكه للشعب، فيقود موسى لتحقيق الوعود الإلهيّة، وإنجاز العلامة الموعودة في خر ٢٣: ٢٠-٢٣ دلالة على عدم رفضه لشعبه بالرغم من الخيانة التي اقترفها. فها هو، بعد صنع الشعب لعجل الذهب، يرسل ملاكه القائد ليكون قائدًا لهم. أعطاهم المبتغى الذي بحثوا عنه بشكل خاطىء، لكنّه أضاف هذه المرّة تهديدًا: يوم افتقاده سيفحص، بواسطة ملاكه، أمانة شعبه أو عدمها.

ساهم تشفّع موسى الثاني في تمتين علاقته بالربّ، فالوعد بإرسال الملاك يخصّه وحده هذه المرّة: "ملاكي يسير أمامك" (٣٢: ٣)، في حين كان يخصّ الشعب كلّه في خر ٢٣: ٢٠-٢٣.

فمن هو ملاك الله؟

ملاك الله في خر ٢٣: ٢٠ هو "رسول الله"، ينقل كلامه للشعب دون أن يكون دوره محدودًا بهذا فقط لأنّه في الوقت عينه أداة عناية الربّ بشعبه. ظهر لموسى في العلّيقة المشتعلة (خر ٣: ٢-٦)، وقد اتّضح عندها أنّه الله بالذات يتكلّم مع الناس؛ وهو رسول الربّ أثناء الخروج من مصر (خر ١٤: ١٩؛ رج عد ٢٠: ١٦)، هو الله بالذات يتصرّف بواسطة ملاكه ليقود شعبه ويحميه؛ وفي خاتمة إبرام العهد وعد الله بإرسال ملاكه للشعب قائدًا ومتكلّمًا باسمه (خر ٢٣: ٢٠-٢٣)؛ فعدم طاعة ملاك الربّ يعني عصيان الربّ لأنّ "اسم الربّ فيه"، من خلاله يلتقي الشعب بالربّ وفيه قدرة الربّ. الملاك إذًا هو من يجعل حضور الربّ منظورًا، في القيادة كما في الإدانة والحكم على الخطايا[١٤]. يترافق إرسال الملاك مع الوعد بالأرض (خر ٣٢: ٣٤ و٣٣: ٢)[١٥]، ويشكّل جزْءًا من إعلان الانتصار على الأعداء قبل الحملة (خر ٣٣: ١-٣)[١٦]، إنّ إرسال الملاك هو دائمًا لخير الشعب وخلاصه. دوره في خر ٣٢: ٣٤؛ ٣٣: ٢ هو هو كما في خر ٢٣: ٢٠-٢٣: يقود موسى والشعب إلى الأرض الموعودة بالرغم من خطيئة هذا الشعب مع إضافة عنصر واحد جديد هو ارتباط رسالة

١٤ رج قض ٢: ١-٥ في عودته إلى خر ٢٣: ٢٩-٣٠ حيث المعركة فشلت، ليس لأنّ الله عاد عن وعوده بل لأنّ الشعب خان الربّ والعهد.

١٥ في إطار خر ٣٣:١-٢ الذي يتّسم بطابع إيجابيّ تجاه الشعب مؤكّدًا أمانة الربّ لوعوده لإبراهيم واسحق ويعقوب، ما يذكّر بالوعود المعطاة لموسى عند دعوته (خر ٣: ٨، ١٧).

١٦ بالتالي من الصعب القبول بأن يتحوّل الإعلان المخصّص لتشجيع قائد الشعب لإكمال المسيرة نحو الأرض الموعودة إلى إعلان للعقاب.

هذا الملاك بإعلان يوم افتقاد الربّ الذي سيفحص تصرّفات الشعب لأنّ حضور الملاك هو حضور الله بالذات[١٧].

الخيمة خارج المحلّة (خر ٣٣: ٣-١١)

بعد الوعد بالملاك الذي يقود الشعب الى تحقيق الوعود الإلهيّة، يعلن الربّ انسحابه من بين الشعب "نحو الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً، أمّا أنا فلا أصعد إليها"، وكأنّها بداية لموضوع جديد (خر ٣٣: ٣)؛ ففي خر ٣٢: ٣٤ – ٣٣: ٢[١٨] يستعيد النصّ موضوع ٢٣: ٢٠-٣٣ الذي يتناول إرسال الملاك وطرد الأمم من أمام إسرائيل، فيضيف الكاتب في ٣٣: ٣أ "الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً"، لينتقل الربّ في ٣٣: ٣ب من الكلام مع موسى إلى الكلام مع الشعب أجمع. يمكن بالتالي أن نرى في ٣٣: ١-٢ و٣٣: ٣-٦ طبقتين أدبيّتين مختلفتين بحيث تكمل ٣٣: ١٢ الحوار الذي يتضمّن ٣٢: ٣٣-٣٤؛ ٣٣: ١-٢و١٢، فيستعيد موسى في آ ١٢ كلام الربّ في ٣٣: ١.

ربّما يكون إذًا مقطع ٣٣: ٣-١١ قد أُضيف على خر ٣٣ أثناء المرحلة الأخيرة من كتابة تشفّعات موسى في خر ٣٠: ٣٠ – ٣٣: ٢ و٣٣: ١٢-١٧، ليجيب على السؤال: كيف يمكن للربّ أن يرافق شعبًا إن كانت "رقبته قاسية"؟

على هذا يجيب النصّ بأنّ الربّ يرفض ذلك لأنّ حضوره معهم يعني إفناءهم (٣٣: ٣ب-٦)؛ "فالخبر السيّء" (آ ٤) هو أنّ الشعب في مسيرته إلى الأرض الموعودة لا يزال "شعبًا قساة الرقاب" يصعب تربيته وقيادته في المسيرة الصعبة في الصحراء نحو الأرض الموعودة وخطر إفنائهم بسبب عصيانهم، قبل وصولهم إلى الأرض التي تدرّ لبنًا وعسلاً.

لكنّ الخبر السيّء لا يتعلّق بإعلان إرسال الملاك، بل بمسألة أن يكون الربّ بين شعبه أو لا يكون، مع أنّ ملاكه يرافقهم ليؤمّن لهم الحماية. حزن الشعب ونزعوا زينتهم (٣٣: ٤)، فحضور الربّ بينهم كان مجدهم وفخرهم. تغيّر دور خيمة حضور الله فلم تعد "خيمة المسكن" بل صارت "خيمة الاجتماع" وجهًا إلى وجه مع الربّ. لا زالت الخيمة تؤمّن التواصل مع الربّ بواسطة موسى فيتمكّن الشعب من استشارة الربّ بشكل دائم ليتأكّد من صحّة المسار، ولا يزال الربّ مرافقًا للشعب ولكن بطريقة جديدة، مع موسى وحده.

"أنا لا أصعد إليها وسطكم"، قال الربّ في ٣٣: ٣، فكان أن صارت الخيمة "خارج المحلّة على بعدٍ منها" (٣٣: ٧)؛ يبقى الشعب بعيدًا على مثال المسافة التي تفصله عن جبل سيناء حيث كان يبقى عند أسفل ينظر من بعيد (خر ١٩: ١٧؛ ٢: ١٣-١٨)، فيُحفَظ من الموت الذي يتهدّد من يقترب من الله القدّوس (خر ١٩: ٢١-٢٤). هذا ما تظهره تشفّعات موسى التي ينجزها تارة على الجبل وأخرى في الخيمة، وفي الحالتين ينزل

---

١٧ هذا ما يؤكّده أش ٦٣: ٩ في إعلانه أنّ الله هو من تدخّل لصالح الشعب وليس رسول آخر.

١٨ حيث وحدها ٣٢: ٣٥ تبدو إضافة: "وبَطَشَ الرّبُّ بالشَّعبِ لأنَّهُم عبَدوا العِجلَ الذي صنعهُ هرونُ".

الربّ في السحاب (رج ٣٣: ٩-١٠؛ ٣٤: ٥). عندما ترك إسرائيل حوريب أوجد الله لهم مكانًا آخر للاجتماع يرافقهم طيلة مسيرتهم لكنّه متاح لموسى وحده.

التشفّع الثالث والرابع (٣٣: ١٢-١٧)

تؤلّف التشفّعات الثالثة والرابعة، مع أجوبة الله عليها (٣٣: ١٢-١٧) وحدة أدبيّة تفتحها وتختتمها جملة "عرفتك باسمك" (آ ١٢، ١٧)، تندرج حسب تصميم واضح يقوم على صلاة لموسى يليه جواب مقتضب من الربّ. في صلاته الثالثة (٣٣: ١٢-١٤) يطلب موسى النعمة لنفسه كقائد للشعب وفي الصلاة الرابعة (٣٣: ١٥-١٦) يطلب النعمة للشعب.

موسى يطلب النعمة ليكمل رسالته (٣٣: ١٢-١٤)

يقول موسى للربّ: "لم تخبرني من ترسل معي" (آ ١٢)؛ فمن الطبيعيّ أن يعرف من الذي يشاركه قيادة الشعب. لكنّ موسى كان يعرف وعد الربّ بإرسال ملاكه (خر ٢٣: ٢٠؛ ٣٢: ٣٤؛ ٣٣: ٢)، فما يطلبه إذًا هو أن يُسمح له بالتعمّق في سرّ حضور هذا الملاك المرافق. أراد موسى أن يتحقّق من حضور الملاك فيطمئنّ إلى مقدرته على إكمال الرسالة التي أوكله بها الربّ.

لم يُكثر موسى من الصلوات والتشفّعات لأنّ الربّ لا زال غاضبًا على شعبه الخاطىء، بل لأنّه يطلب النِعم لإكمال المسيرة بحسب الإرادة الإلهيّة. صلواته هي بالأحرى مسيرة تعرّف تدريجيّة يقوم بها ليصل إلى ملء النعمة التي يريد الله إسباغها على الشعب الخاطىء والتي لا تنجلي إلاّ من خلال سلسلة تشفّعات، وبعد أعمال يحقّقها الربّ بواسطة الرسالة التي أناطها بموسى. "معرفة الربّ والحوز على رضاه" هو مفتاح النصّ (آ ١٢، ١٣، ١٦، ١٧).

بعد تشفّعاته السابقة وأجوبة الربّ عليها (٣٢: ١١-١٤، ٣٠-٣٤)، ومن خلال دعوته الأولى على جبل سيناء (خر ٣)، فهم موسى أنّ الربّ "يعرفه باسمه"، وأنّه "وجد حظوة في عينيه"، لكنّ المعرفة بين الأصدقاء يجب أن تكون متبادلة.

في صلاته الثالثة يطلب موسى من الربّ أن يعطيه نعمة خاصّة هي نعمة معرفته بشكل عميق، لأنّ هذه المعرفة هي شرط أساسيّ لرسالته؛ فإن كان الربّ قد طلب منه أن يقود شعبه فهذا يتطلّب من موسى أن يعرف الربّ جيدًّا، وإلاّ فكيف يقودهم في طريق الربّ وإليه؟ ثمّ إنّ موسى يريد أن يكون متأكّدًا من أنّ هذا الشعب لا يزال شعب الربّ (آ ١٣).

١٢وقالَ موسى للرّبِّ:
قُلتَ لي أصعِدْ هؤُلاءِ الشَّعبَ إلى تلكَ الأرضِ
ولم تُخبِرْني مَنْ تُرسِلُ معي، وقُلتَ لي عرَفْتُكَ بِاسْمِكَ ورَضيتُ عَنكَ.

١٣فالآنَ إنْ كُنتَ رَضيتَ عنّي، فأرِني طريقَكَ حتّى أعرِفَكَ وأحتَفِظَ بِرِضاكَ.
ألا ترى أنَّ هذِهِ الأمَّةَ هيَ شعبُكَ.
١٤فقالَ لَه الرّبُّ: أنا أسيرُ معَكَ وأهديكَ (وجهي يسير أمامك وأعطيك الراحة).

يبدو جواب الربّ في آ ١٤ مبهمًا بعض الشيء. إنّه وجه الربّ بالذات دون أدنى شكّ؛ فالربّ قادر على التواصل مع شعبه بطرق شتّى. كما لم يشكّل إرسال الملاك في خر ٢٣: ٢٠ بديلاً عن حضور الربّ بالذات، ها إنّ الربّ يكرّر الآن وعده بمرافقة الشعب دون أن يسحب وعده المختصّ بالملاك؛ فالشعب يحتاج ملاكًا يُدخِله الأرض الموعودة.

قال موسى: "لم تخبرني من ترسل معي" (آ ١٢)؛ فأجاب الربّ: "وجهي يسير أمامك" (آ ١٤)، بمعنى "أنا أسير معك"؛ فالملاك ووجه الله هما وجهان للحضور الإلهيّ عينه؛ هما وجهان يتكاملان؛ إنّه حضور مزدوج يتناقض مع محاولة الشعب الحصول على حضور إلهيّ مشوّه عبر صنعهم لعجل ذهب يعبدونه؛ فملاك الربّ هو القائد الحقّ، ووجه الربّ هو مَنْ يجب على المؤمنين البحث عنه دومًا وعبادته. الملاك يعلّم الناس "طرق الربّ"، ووجه الربّ يسمح لهم بالبحث عنه والتوبة إليه وطلب المغفرة والتسبيح.

هكذا نفهم صلاة موسى، "أرني طريقك، حتّى أعرفك، فأنال نعمة في عينيك" (آ ١٣)؛ فمعرفة الربّ تعني، من جهة، معرفة طريقه (آ ١٣)، وهذا يعود إلى دور الملاك، وتعني، من جهة ثانية، إنّ من يريد الربّ أن يريه وجهه هو من ينال رضاه.

الصلاة الرابعة: "سِرْ معنا...فنتميّز... ما قلته سأفعله" (٣٣: ١٥–١٧)

يطلب موسى للشعب نعمة مشابهة لتلك التي طلبها لنفسه. يأخذ مكانه بين شعبه ويتضرّع أمام الربّ ليعرف إسرائيل كلّه حضوره الفاعل معهم: "إن لم يكن وجهك سائرًا فلا تصعدنا من هنا؛ فبمَ يُعرف أنّي وجدت حظوة في عينيك أنا وشعبك، أمَا بسيرك معنا؟" (٣٣: ١٥–١٦أ).

يطلب موسى من الربّ أن يسير "معنا" (עִמָּנוּ)، كما في خر ٣: ١٢، عندما دعاه الربّ ووعده بأن يكون "معه" (עִמָּךְ) ممّا يجيز قراءة نصّ خر ٣٣: ١٥–١٧ الذي سيُستَكمَل في ٣٤: ٩–١٠، على أنّه خبر دعوة إسرائيل. تأتي أجوبة الربّ في صيغة المستقبل دون أيّ تحديد لزمن تحقيقها: "أعطيك الراحة" (آ ١٤)؛ "هذا الذي قلته أفعله" (آ ١٧): إنّه مستقبل الشعب؛ فبالشفاعة وجد موسى الوسيط وشعبه حظوة في عيني الربّ، لكنّ مسألة حصول الشعب على نعمة كونه مميّزًا عن باقي أمم الأرض، لا تزال مرتبطة بإكمال الحجّ عبر الصحراء نحو الأرض الموعودة، ليتعلّم "طرق الربّ" وينقاد له.

التشفّع الخامس: "أرني مجدك... الربّ رحيم حنون" (خر ٣٣: ١٨–٢٣)

في صلاته الخامسة نقرأ على لسان موسى الطلب الأجرأ: "أرني مجدك" (٣٣: ١٨). في إطار الفصول ٣٢-٣٤ المتمحورة حول شرح كيفيّة استطاعة الشعب أن يصمد بالرغم من خطيئته العظيمة، كان موسى حتّى الآن وكأنّه يطلب كلّ اللازم لكي يستطيع الشعب أن يكمل مسيرته؛ فما هو دور خر ٣٣: ١٨-٢٣؟

يبدو أنّ دور هذا النصّ هو دور مزدوج يُظهر أوّلاً أن تجلّي اسم الربّ على سيناء في ٣٤: ٦-٧ هو نعمة خاصّة نالها موسى وبواسطته كلّ الشعب، ويؤكّد أنّ الله الذي لا يراه أحد ويحيا، هو إله حنون رحيم. بصفته أحد أفراد هذا الشعب، كان يجب أن يرى موسى مجد الله، أي الله بالذات، لكي يتأكّد الشعب من دعوته الخاصّة كوسيط وشفيع. ويتأكّد من تحقيق الوعد: "وجهي يرافقك" (٣٣: ١٤).

ويبدو ثانيًا أنّ نصّ ٣٣: ١٨-٢٣ يلعب دور الفاصل وسط النصّ المتمحور حول مشكلة خطيئة الشعب، ليطرح مسألة قدرة الإنسان الواقف إلى "جانب الله" على رؤيته (آ ٢١)، فيؤكّد أن "لا أحد يرى الله ويعيش"، (آ ٢٠)، لكنّه يترك مساحة للرجاء لأنّ الله الذي "يتحنّن على من يتحنّن ويرحم من يرحم" (آ ١٩) قادر أن يعطي هذه النعمة لمن يريد.

تجلّي الله وتشفّع موسى السادس: "سِرْ في ما بيننا... ما أفعله معكم رهيب" (خر ٣: ١-١٠)

بعد الحوار الذي دار في ٣٣: ١٨-٢٣، يعود النصّ في ٣٤: ١ إلى جبل سيناء وإلى مشاكل الفصول ٣٢-٣٤ المختصّة بالشعب، فيبدو النصّ وكأنّه يستعيد ما انقطع في ٣٣: ١٧.

صعود موسى إلى الجبل والتجلّي الإلهيّ (٣٤: ١-٥) تجديد للعهد؟

يستعيد خر ٣٤: ١-٤ حدث صعود موسى إلى الجبل في ٢٤: ١٢-١٥ ويتوسّع فيه. كُسِرت الألواح[١٩] مؤقتًا لأنّ الشعب خرق شرائعها عندما صنع لهم العجل الذهب، لكنّ الفصل ٣٤ لا يتناول إبرامًا لعهد جديد ولا تجديدًا للعهد، فهدف موسى من صعود الجبل في ٣٤: ١-٤ هو استعادة الألواح المكسورة، ما يدلّ على نيل المغفرة. في هذا الفصل ٣٤ لا يشهد الشعب التجلّي كما في حدث نزول السحاب في خر ١٩-٢٠؛ ٢٤، ولا ينال علامة إلاّ الألواح. نزل السحاب في ٣٤: ٥ تأكيدًا لموسى وحده على حضور الربّ نتيجة لصلاته وجوابًا لسؤاله: "إن كنت لا تسير معي فلا تصعدنا من هنا. كيف يُعرف أنّك راضٍ عنّي وعن شعبك؟" (٣٣: ١٥). يجعل تجلّي الربّ وإعلانُ اسمه موسى إذًا قادرًا على إكمال رسالته تمامًا كما في خر ٣. إنّه العهد عينه والعلامة الإلهيّة عينها.

في إعلان الربّ عن اسمه، وفي نزول السحاب، ميزة خاصّة تتمثّل في أنّ الله نفسه هو من يقول اسمه؛ فإن كان الله قد لفظ اسمه أمام موسى، فإنّ ذلك يعني السماح للشعب باستدعاء اسم الربّ في صلواتهم للتسبيح

١٩ الألواح التي نقرأ عنها في خر ٢٤: ١٢؛ ٣١: ١٨؛ ٣٢: ١٥-١٩؛ ٣٤: ١-٤، ٢٨ تتضمّن بنود العهد عينه.

وطلب الغفران عن خطاياهم. يشكّل هذا الإعلان–التجلّي قمّة النصّ، يجعل منه نصّ دعوة الله الجديدة لموسى وللشعب (كما في خر ٣: ١٤–١٥) ليرسلهم نحو الأرض الموعودة.

تعلن الآياتان ٦–٧ جوهر الربّ: "الربّ إله رحيم حنون، بطيء عن الغضب وكثير المراحم والوفاء. يحفظ الرحمة لألوف الأجيال، ويغفر الإثم والمعصية والخطيئة. لا يبرّىء الأثيم بل يعاقب آثام الآباء في البنين وبني البنين إلى الجيل الثالث والرابع".

يحفظ الربّ إذًا الأمانة للعهد المبرم مع الشعب بالرغم من خطيئتهم؛ فأمانته لا تتعلّق بمواقف الشعب وتصرّفاتهم، بل بجوهر طبيعته، وتتضمّن أمانة الربّ بُعْدَين لا يتناقضان، هما النعمة والعقاب التربويّ (رج إر ٣٠: ١١؛ ٤٦: ٢٨)؛ فالربّ يشفق على الخطأة لكنّه لا يتعامل معهم وكأنّه لا يبالي. يرحم الخاطىء، فلا يغضب بطريقة تفنيه، بل يسمح بالوقت للإصلاح. يعاقب حتّى الجيل الثالث والرابع (رج خر ٢٠: ٥)، أي حتّى الجيل الذي لم يشهد خطيئة الأجداد، أو أنّه يعطي وقتًا للتوبة لا يدوم أكثر من أربعة أجيال؛ لا يعاقب فورًا بل يزور الخطأة، يفحصهم لفترة طويلة ليتأكّد من توبتهم (خر ٣٤: ٧؛ ٣٢: ٣٤).

بالرغم من خطايا الشعب العظيمة وخياناته الكارثيّة، سيكون مصيره هو هو، لأنّ الربّ يبقى أمينًا لعهده المبرم ولا ينقضه. عدم أمانة الشعب سيجلب عليهم المآسي والهلاك إذا لم يتبُ، لكن بالمقابل يبقى للشعب كلّه إمكانيّة الخروج من المحنة بمساعدة الربّ الأمين في عهده، فيتعلّم منه الأمانة، ويحصل على تتميم الوعود رمزًا للسعادة المبنيّة على العلاقة الحميمة الدائمة معه.

الوعد بالعهد (٣٤: ٨–١٠)

يشكّل سجود موسى في ٣٤: ٨ نقلة بين نصّ التجلّي (٣٤: ١–٧) وطلب موسى السادس يتبعه إبرام العهد (٣٤: ٩–١٠). تشكّل هاتان الآيتان الأخيرتان (آ ٩–١٠)، مع إعلان اسم الربّ (آ ٦–٧)، قمّة الفصول ٣٢–٣٤ كلّها، لأنّ كلّ ما يتبعهما (٣٤: ١١–٢٦، باستثناء آ ١١ب) هو مجموعة قوانين طقسيّة تنتهي بالآيتَين ٢٧–٢٨ اللتين تعودان إلى موضوع العهد.

تتوافق آ ٣٤: ٩–١٠ تمامًا مع ٣٣: ١٢–١٧، وبخاصّة مع التشفّع الرابع في ٣٣: ١٥–١٧؛ فالجملة الأولى "إن كنت حقًّا قد وجدت حظوة في عينيك ..." هي تكرار لما في ٣٣: ١٦–١٧، حيث يطلب موسى علامة تؤكّد نعمة الربّ لشعبه؛ وفي مقابل فكرة "الشعب المتميّز" في ٣٣: ١٦ يأتي موضوع العهد في ٣٤: ١٠.

في ٣٣: ١٧ وعد الربّ موسى: "ما قلته أفعله"؛ فها موسى يطلب منه في ٣٤: ٩: "سِرْ في ما بيننا...، فتغفر آثامنا وخطايانا، وتقبلنا ميراثك"، مستعيدًا ما قاله في ٣٣: ١٦: "إن كنت لا تسير معنا"، لكنّه الآن لا يكتفي هنا بأن يكون الربّ معهم في الطريق، بل يطلب أن يكون بينهم في المستقبل البعيد، بحيث يكون الشعب مُلكًا دائمًا للربّ.

جوابًا على هذا الطلب، يَعِدُ الربّ بأعمال يحقّقها طيلة تاريخ الشعب: "ما أصنعه معك رهيب" (آ١٠)، وكأنّ مستقبل الشعب سيكون خروجًا جديدًا من العبوديّة. هكذا يمكننا أن نعتبر الآيات ٣٤: ٩-١٠ شرحًا للفصول ٣٢-٣٤ بكاملها، فتؤكّد أنّ خطيئة عجل الذهب العظيمة قد غُفرت بفضل تشفّع موسى، وأنّ هذا الغفران هو نموذج للمستقبل: "تغفر لنا ذنبنا وخطيئتنا وتمتلكنا" (آ ١٠)، بخاصّة يوم يفتقد الله شعبه، فيزورهم ليفحص عن خطيئتهم (٣٢: ٣٤). إنّ حضور الربّ لا يفني الشعب "ذا الرقاب القاسية" (٣٢: ٩؛ ٣٣: ٥٥؛ ٣٤: ٩) ولا يهمله، بل يتماشى مع طبيعته، فيأخذ صورة المرافقة الإلهيّة التي تعلّمهم جوهر الله من خلال المعجزات التي سيحقّقها لهم. وما يضمن للشعب علاقة العهد التي تجعل منه شعبًا مميّزًا" (٣٣: ١١-٦) هي هويّة الربّ كما يعلنها ٣٤: ١-٧.

تعطي الفصول ٣٢-٣٤ المؤلّفة من طبقات أدبيّة عدّة، سلسلة من التفاسير المتوالية التي تتكامل، فتأخذ صورة المرافقة الإلهيّة للشعب بحسب خر ٣٢: ٣٠ – ٣٣: ٢ صورة الملاك ووجه الربّ؛ وفي خر ٣٣: ٣-١١ صورة خيمة الاجتماع؛ ويتعلّق الغفران للخطأة في ٣٣: ٣٠-٣٤ بشفاعة موسى؛ وبالربّ بالذات يوم الافتقاد في ٣٣: ٣٠-٣٤، كما يؤكّد عند إعلان اسمه: "البطيء عن الغضب"، الذي لا يعاقب إلا ليربّي (خر ٣٤: ١-٧)[٢٠].

وتأتي شرائع العهد في ٣٤: ١١-٢٦ متوازية مع ٢٣: ١٠-١٩ والوعود في ٢٣: ٢٠-٣٣، مع إضافة معبّرة لاسم الربّ "الإله الغيور" (آ ١٤)، ما يتوافق تمامًا مع خبر خطيئة عجل الذهب (آ ١٧). تتعلّق الآيات ١٨-٢٦ بطريقة الاحتفال بالأعياد، لكنّها لا تذكر المعبد ولا الكهنة؛ فإن كان على الشعب أن يحضر أمام الربّ ثلاث مرّات في السنة، فإنّ المكان يبقى غير محدّد.

تُجمع كلّ مقاطع الفصول ٣٢-٣٤ على نقطة واحدة: لا مكان ثابت يسكن فيه الربّ وسط إسرائيل في مسيرته نحو الأرض الموعودة، فهو لا يحتاج في هذه المسيرة طريقة أخرى للتواصل مع الربّ غير كلمة الربّ التي ينقلها لهم موسى الوسيط، أو ملاك الربّ، والكلمات المحفورة على الألواح. أمّا عبادة الربّ فتقوم على البحث عن "وجه الربّ" والطاعة لكلمات العهد. ويكفي نموذج الشفاعة والابتهال إلى اسم الربّ للحصول على غفران الخطايا.

ختام (٣٤: ٢٧-٣٥)

هذه الآيات هي إضافة تشكّل خاتمة الفصول ٣٢-٣٤، فتجمع عناصر عدّة، أبرزها دور موسى الوسيط بين الربّ والشعب، العهد، والألواح، والإشارة إلى خيمة الاجتماع؛ كما تربط نصّ مكوث موسى عل الجبل الذي انقطع في خر ٢٤: ١٨ بما يتبع في ٣٥-٤٠.

٢٠ هذا الإعلان لاسم الربّ سيتحوّل إلى صيغة صلاة لطلب الرحمة عن خطايا إسرائيل (والأمم في يون ٤: ٢) في ترحالة الذي سيصل في نهايته ليكون بملئه ملْكًا للربّ (رج عد ١٤: ١٧-١٩؛ يوء ٢: ١٣؛ نح ٩: ١٧).

في خر ٣٤: ٢٩-٣٥ يبرز الكاتب سلطة موسى، ويُدخل هارون والشعب في النصّ من جديد؛ فنقل كلمات الربّ للشعب مضمونة من خلال ألواح الشهادة، من جهة، من خلال اللقاءات الدوريّة بين موسى والربّ في خيمة الاجتماع، من جهة أخرى (آ ٣٤-٣٥).

خاتمة

بالرغم من تعقيدات الوحدة الأدبيّة، المدروسة التركيب، التي تشكّلها الفصول ٣٢-٣٤ بطريقة متماسكة يمكن أن نفسّرها. يقوم ذلك على أنّه تمّ إضافة مقاطع على هيكليّة النصّ المتعلّق بتشفّعات موسى (خر ٣٢: ١-٢٤، ٣٠-٣٤؛ ٣٣: ١-٢، ١٢-١٧؛ ٣٤: ١-١٠)، وأُدخلت في الخبر بشكل مبتكر (خر ٣٢: ٢٥-٢٩؛ ٣٣: ٣-١١، ١٨-٢٣؛ ٣٤: ١١-٣٥)، مضيفةً تفسيرًا معمّقًا لكامل النصّ.

باستثناء الصلاة الخامسة (٣٣: ١٨-٢٣)، تقدّم تشفّعات موسى تضرّعًا مطوّلاً لطلب المغفرة عن خطيئة إسرائيل، بحيث يكون حدث عجل الذهب مثالاً لكامل تاريخ إسرائيل. يقدّم الربّ لشعبه أكثر من مغفرة آنيّة، فيفتح أمامه نظرة مستقبليّة، تقدّم الفصول ٣٢-٣٤ مفتاحًا لشرح تاريخ إسرائيل كلّها، لتؤكّد أنّه في الأوقات الحرجة كلّها، حيث تبدو العلاقة مع الربّ بخطر نتيجة لخطايا الشعب، لن يترك الربّ شعبه بل يعطيه إمكانيّة طلب المغفرة. وهكذا، فلا يمكن لإسرائيل أن ييأس لأنّ الرابط بينه وبين الله أقوى من أن يكسره خرق الشعب لهذا العهد، فلا شيء يعادل أمانة الربّ.

إنّ نعمة الربّ غير مشروطة، وتفيض أكثر فأكثر في حالات الخطيئة (رج رو ٥: ٢٠)، لكنّها لا تُنقَل للشعب إلاّ من خلال وساطة شفيع. يتّضح طابع الفصول ٣٢-٣٤ كمسيرة تجلٍ تدرّجيّ للرحمة العظيمة غير المشروطة التي يظهرها الربّ للبشر، والمرتكزة على جوهر الربّ بالذات، وليس على الجهود البشريّة. لا يعمل موسى على ترميم العلاقات بين الربّ وشعبه الذي أهانه، ولكن على اختبار الله شخصيًّا، ونقل اختبار معرفته لعظمة النعمة الإلهيّة لشعبه الخائن؛ فالصعوبة لا تكمن في تجديد العهد مع الله بعد خطيئة العجل الذهبيّ، بل في رؤية مجد الله واختبار نعمته (خر ٣٣: ١٨-٢٣). وهكذا، فإنّ حوار موسى مع الربّ يكشف تدريجيًّا جوهر الربّ المملوء رحمة ويصل إلى قمّته في خر ٣٤: ٦-٩.

إنّ الربّ يغدق نعمته وحنانه تجاه شعبه ذي "الرقاب القاسية" (خر ٣٢: ٩؛ ٣٣: ٣، ٥؛ ٣٤: ٩). ومع أنّ الشعب يبدو وكأنّه فهم خطورة حالته بعد إهماله للعهد، كما يدلّ على ذلك تصرّف اللاّويّين في ٣٢: ٢٥-٢٩، والحداد الاختياريّ الذي عاشه الشعب في ٣٣: ٤-٦، فليست توبة الشعب هي ما أدّى إلى الغفران الإلهيّ، بل أنّ الربّ نفسه هو من كيّف تصرّفه بحسب الضعف البشريّ. يمكننا أن نفهم سلسلة الخطابات الإلهيّة في خر ٣٢-٣٤ وكأنّ الله يتساءل في ذاته كيف يمكن قيادة البشر ذوي الطبع العاصي.

وتظهر العلامات المتعدّدة للحظوة الإلهيّة، لكنّها تتطلّب من البشر جهدًا ليتعلّموا الطاعة للكلمة الإلهيّة. أخذت خيمة موسى العاديّة والمؤقّتة للمسيرة، مكان المسكن المجيد الذي أقامه الشعب في وسطه خوفًا من

خطر الإيمان المشوّه بالله، وما تَكَبُّر الشعب أمام صنعهم لعجل الذهب إلاّ برهان على ذلك. لكنّ الأهمّ هو أنّ الله أرسل للشعب ملاكه الذي عليهم سماعه، كما أرسل وجهه الذي عليهم طلبه دومًا.

في كلّ الأحوال، تندرج الفصول ٣٢-٣٤ في منظور مستقبل الشعب. هذا ما يتراءى في ملاخي الذي، في كلامه عن حياد الشعب عن طريق الربّ (ملا ٢: ٨)، يشبّهه بعبادة عجل الذهب. ثمّ ينتقد الكهنة المسؤولون الرئيسيّون عن الانحطاط الدينيّ الذي يغرق فيه الشعب، والمسؤولون في الوقت عينه عن تجديد العهد. إنّهم رسل الربّ ومعلّمو الشعب (٢: ٧)، وهم الشفعاء له تجاه الربّ (ملا ١: ٩)، وإنْ كان الشعب غير قادر على قبول المغفرة لغياب شفيع على مثال موسى.